Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

د. ناجي حسن

الزيدية

للصّاحبْ بن عبّاد
٣٢٦ - ٣٨٥ هـ.

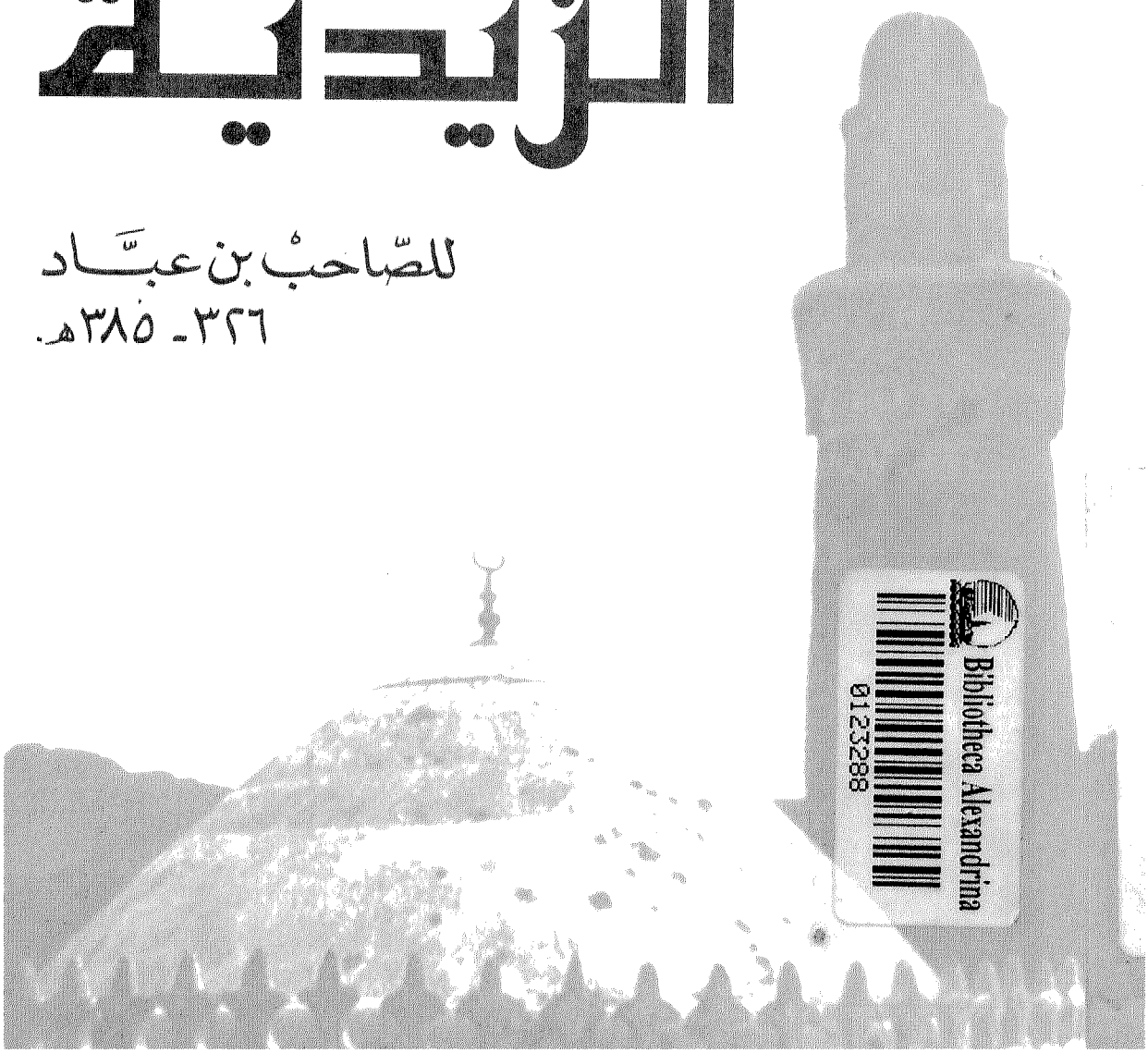

Bibliotheca Alexandrina
0123288

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزيدية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدار العربية للموسوعات
ص. ب : ٥٣٤٨/ ١٣ تلكس : ٢٣١٠٧ ARATRD LE
بيروت ـ لبنان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

د. ناجي حسن
أستاذ ومساعد في التاريخ الإسلامي

الزيدية

للصاحب بن عبّاد
٣٢٦ - ٣٨٥ هـ

الدار العربية للموسوعات

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى
١٩٨٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإهداء

إلى المعتزلة
روّاد الفكر الحرّ وقادته
في الإسلام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

شغفتني وأنا اتطلع لعظماء القادة ، شخصية الثائر الإمـام زيد بن علي ، احد صانعي التـاريخ ، ورائـد احدى الثـورات السياسيـة والدينيـة الكبرى في الاسلام ، وباعث اتجاه سياسي وديني أثّر تأثيرا واضحا في مجريات الاحداث في عصره ، ودفع عجلة انهيار الدولـة الامويـة إلى امام . فكـان حَرِيّـاً بذلـك البحث الذي استهدف ايضاح تلك الجوانب المشرقة للثورة والنتائـج الواسعـة المدى التي تمخضت عنها ، والذي دعوناه بثورة زيد بن علي .

إلا أن هـذا سرعـان ما جـرني إلى السعي حثيثـا ، من اجـل نشـر تلك الكنـوز الثمينة للعقيـدة الزيـدية ، حين بهـرني ذلك الفكـر النيـر ، والاسلوب الاعتزالي الرفيع الذي اتخذه القوم وسيلة لتثبيت تلك العقيدة ، والقابلية الفذة المنقطة القرين في الذود عنها ، وتـرسيخ كيـانها ؛ هـذا إلى أنها لم تجـد من اعتنى بها ، واهتم بأمرها ، فظلت على حالها مطمورة موزعة بين مكتبات ڤينـا حاضرة النمسا ، وميلانو في البلاد الايطالية ، والقاهرة حـاضرة الكنـانة ، امـا تلك التي تعج بها البلاد اليمانية ، حصن الزيدية ومعقلها ، فعلمها عنـد علام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغيوب ، بعد أن ظلت ازمانا طويلة تحت يد البلى ، دون أن تمتد اليها يد النشر والتحقيق .

وقد عثرت ـ فيما عثرت عليه ـ هذا السفر القيم ، وهو نسخة فريدة ـ كما اظن ـ مركونة بدار الكتب المصرية العامرة تحت رقم ١٥٦٧ علم الكلام ، يعود تاريخها إلى سنة احدى وخمسين وخمسمائة من الهجرة ، فعزمت على نشره واذاعته في الناس ، خدمة للفكر واهله ، ومحاولة لسد فراغ طالما تحسست به الثقافة العربية والاسلامية ، والله من وراء القصد .

المحقق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصَاحِبُ بن عَبَّاد

هـو اسماعيـل بن عبَّـاد بن العبَّـاس بن عَبَّـاد بن أحمـد ابن إدريس الـطالقانيّ . لقب بـالصاحب « لأنـه كان يصحب ابن العميـد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة ، وبقي علما عليه »[1] . ويذكر الصَابي « أنه انما قيـل لـه الصـاحب لأنـه صحب مؤيـد الـدولـة ابن بـويـه منـذ الصبـا وسمـاه الصاحب ، فاستمر عليه هـذا اللقب ، واشتهر به ، ثم سُمِّي بـه كل من ولي الوزارة بعده »[2] . كمـا لقبه مؤيـدُ الدولـة بـ (كافي الكُفـاة) وذلك بعـد أن « حصل عنده بقدم الخدمة قدم ، وأنس منـه كفايـة وشهامـة »[3] . اما ولادتـه فكـانت سنة ٣٢٦ هـ على راجـح الاقوال[4] ، في حين اضحى محـل ولادتـه مثار جدل كبير ، ومحط وجهات نظر متباينة[5]. ويذكر ابن خلكان « أن مولده

---

(١) ابن خلكـان : وفيات الاعيان ١/٢٠٧ .
(٢) وفيات الاعيان ١/٢٠٧ ياقوت : معجم الادباء ٢/٢٧٥ .
(٣) معجم الادباء ٢/٢٧٥ .
(٤) وفيات الاعيان ١/٢٠٩ ، معجم الادباء ٢/٢٧٤ .
(٥) آل ياسين : الصاحب بن عباد ص ٢٤ ـ ٢٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأصْطَخْر ، وقيل بالطَالَقان »[٦] .

اما والده ـ عبَّاد ـ فقد تسنم من المناصب اسناها ، والمراتب أعلاها حين تولى الوزارة لرُكن الدولة[٧] . وإلى هذا يشير أبو بكر الخوارزمي من أن « الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودَبَّ ودرج من وكرِها ، ورضَعَ افاويق درها ، وورثها عن ابيه »[٨] .

وهو إلى جانب ذلك كله ذو علم غزير ، وخلق جم ، حتى لقب (بالشيخ الامين) ويصفه ابو حيان بأنه « كان دَيناً خَيِّرا ، مقدما في صناعة الكتابة »[٩] ؛ ولم يقف الامين عند ذاكَ حسَب وانما سلك طريق اصحاب الديانات ، والمتكلمين ، إذ كان ينصر مذهب الأشناني[١٠] . هذا هو الامين والد الصاحب ، فلا عجب أن ينشأ الفتى على سر أبيه ، سيما وأنه عني به ، وبذل ما في وسعه ، واغناه من التطلع لما في يد غيره ، حتى كان يقول « وجميع ما انفقته من صغري إلى وقتي هذا ، من مال ابي وجدي »[١١] .

بدأ الصاحب حياته من صغار الكتاب حين خدم أبا الفضل ابن العميد ، وهو يومئذ « عين المشرق ، ولسان الجبل ، وعماد ملك بني بويه ، وصدر وزرائهم ، وواحد العصر في الكتابة وجميع ادوات الرئاسة وآلات الوزارة »[١٢] .

---

(٦) وفيات الاعيان ١/٢٠٩ .
(٧) معجم الادباء ٢/٢٧٤ .
(٨) الثعالبي : يتيمة الدهر ٣/١٩٠ ؛ وفيات الاعيان ١/٢٠٦ .
(٩) معجم الادباء ٢/٢١٤ .
(١٠) نفس المصدر ٢/٢٧٤ .
(١١) نفس المصدر ٢/٢٧٤ .
(١٢) يتيمة الدهر ٣/١٥٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسرعان ما ترقت به الحال عندما كتب لمؤيد الدولة وهو يومئذ امير ؛ ولما توفي ركن الدولة سنة ٣٦٦ هـ تولى مؤيد الدولة الري واصبهان ونواحيهما ، فأستوزر ابنَ عبَّاد لتدبير دولته ، وتصريف شئونها ، فكان خير صاحب ووزير[١٣] .

وهكذا حل الصاحب من قلب مؤيد الدولة محلا عاليا ، ويبدو أن الامر لم يقف عند هذا الحد بل تجاوز ذلك إلى عضد الدولة نفسه ، إذ كان « ينزله المنزلة الكبيرة ويؤثر أن يقضي حقه »[١٤] .

ولما توفي مؤيد الدولة سنة ٣٧٣ هـ ، سعي الصاحب جاهدا لتولية فخر الدولة للسلطة حين ذهب إلى خراسان وعاد به وَملّكهُ على البلاد بعد أن هرب إلى هناك حينما خسر النزاع الذي قام بينه وبين عضد الدولة[١٥] . وفي عهد فخر الدولة علتْ منزلته وسطع نجمه حين تولى له الوزارة ، فغدت « الامور تصدر عن امره ، والمُلك يتدبر برأيه »[١٦] . حتى وافته منيته سنة ٣٨٥ هـ .

عقيدة الصاحب ومذهبه

ورد الباحثون في عقيدة الصاحب ومذهبه موارد شتى ، بعد أن حاول غير واحد منهم جاهدا أن يضمه إلى حزبه ، وينسبه إلى نحلته . فقال ابن ابي طي « كان امامي الراي ، واخطأ من زعم أنه كان معتزليا ، قال ـ وشهد الشيخ

---

(١٣) معجم الادباء ١/٢٧٥ و ٥/٣٤٩ .
(١٤) الروذراوري : ذيل تجارب الأمم ٣/١٨ .
(١٥) ابن الاثير : الكامل ٩/١٠ ؛ معجم الادباء ٢/٢٧٥ .
(١٦) معجم الادباء ٢/٢٧٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المفيد بأن الكتاب الذي نسب إلى الصاحب في الاعتزال وضع على لسانه ، ونسب اليه وليس هو له »[١٧] . وعده محمد تقي المجلسي اماميا حين قال أنه « كان من افقه فقهاء اصحابنا المتقدمين والمتأخرين ، وكل ما يذكر من العلم والفضل فهو فوقه »[١٨] . ونسب إلى عبد الجبار القاضي المعتزلي أنه قال بعد وفاة الصاحب « كيف اصلي على هذا الرافضي »[١٩] . وشاركهم في هذا الرأي كثيرون[٢٠] .

بينما جعله البعض الآخر شافعيا شِيعيا حين قالوا بأنه « كان - مع اعتزاله - شافعي المذهب شيعي النِحلة »[٢١] وصيره غيرهم حشويا[٢٢] ويذكر ابو حيان أنه كان « يتشيع لمذهب ابي حنيفة ، ومقالة الزيدية »[٢٣] . بينما اشار صاحب معاهد التنصيص إلى أنه « كان شيعياً جَلدا - كآل بويه - معتزليا »[٢٤] وذهب جماعة إلى أنه كان معتزليا[٢٥] ، بل جعله بعضهم رأسا من رؤوس الاعتزال ، ومبشرا بمبادئه ، حيث « كان له قوم يسميهم الدعاة يأمرهم بالتردد إلى الاسواق ، وتحسين الاعتزال للبقال والعطار والخباز ونحو ذلك »[٢٦] .

من هذا يبدو أن هنالك اضطرابا واضحا لدى الباحثين ، نتيجة

---

(١٧) ابن حجر : لسان الميزان ١/٤١٦ .
(١٨) الأميني : اعيان الشيعة ١١/٣٣٤ .
(١٩) لسان الميزان ١/٤١٦ .
(٢٠) انظر آل ياسين : الصاحب بن عباد ص ٧١ .
(٢١) لسان الميزان ١/٤١٣ .
(٢٢) نفس المصدر ١/٤١٤ .
(٢٣) معجم الادباء ٢/٢٧٦ .
(٢٤) لسان الميزان ١/٤١٦ .
(٢٥) معجم الأدباء ٢/٢٧٦ .
(٢٦) لسان الميزان ١/٤١٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاضطراب الروايات المتعلقة في عقيدة الرجل ومذهبه ، إلا أنها مع ذلك الاضطراب تكاد تكون مجمعة على تشيعه واعتزاله ، وليس في ذلك من غرابة إذ لا علاقة للاعتزال بمذهب المرء وعقيدته . فالاعتزال مدرسة تقوم على اصول معروفة ، من دان بها غلبه اسمها ، ومن خرج عن احدها انتفي عنه ذلك،وهي تضم الشيعي وغيره. إلا أن الصاحب لم يكن شيعيا إماميا كما ظن غير واحد من الباحثين[٢٧] ، وإنما كان شيعيا زَيديا ، يدل على ذلك امور عدة :

منها ما ذكره أبو حيان من أنه كان « يتشيع لمذهب ابي حنيفة ومقالة الزيدية »[٢٨] . وما ذكره العباسي أنه « كان شيعيا جلدا كآل بويه »[٢٩] وتستوقفنا هنا كلمة جلد ، فهو بلا أدنى شك يعني أنه كان زيديا لعدم ميل هؤلاء القوم إلى التقيه بل المجاهرة بآرائهم ، واللجوء إلى السلاح في شتى الأحوال[٣٠] . هذا من ناحية ، والمعلوم من حال بني بويه أنهم كانوا على المذهب الزيدي[٣١] من ناحية ثانية . وليس أدل على زيديته من تصدر علماء الامامية في الرد عليه ، وفي مقدمتهم الشيخ المفيد الذي كتب كتابا باسم (النقض على ابن عبَّاد في الإمامة)[٣٢] ، والمرتضى في كتابه « الانصاف في الرد على ابن عباد »[٣٣] ، وما كتاب الزيدية[٣٤] الا دليل آخر يدعم ما ذهبنا

---

(٢٧) انصر آل ياسين : الصاحب بن عباد ص ٧١ ـ ٨٤ .
(٢٨) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ١/٥٥ .
(٢٩) لسان الميزان : ١/٤١٦ .
(٣٠) النوبختي : فرق الشيعة ص ٧٤ ـ ٧٥ ، الاشعري : مقالات الاسلاميين ٢/٣١٥ ، ناجي حسن : ثورة زيد بن علي ص ٧٢ .
(٣١) ابن الاثير : الكامل ٨/١٦٢ .
(٣٢) الطوسي : الفهرست ص ١٨٧ .
(٣٣) ابن طاووس : اليقين ص ١٧٤ .
(٣٤) ذكره ابن النديم في الفهرس ص ١٩٤ ؛ وياقوت في معجم الأدباء ٢/٣١٥ .